الرياض

انفتح الباب فلا تقفلوه

فوزي الأسمر

- فتح سمو ولي عهد المملكة العربية السعودية، الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، الباب على مصراعيه أمام القادة العرب، ليتخذوا موقفاً مماثلاً لموقفه من الإدارة الأمريكية التي تدعم إسرائيل بشكل أعمى، في حربها الاجرامية ضد الشعب الفلسطيني، وتقف بالمرصاد لكل تحرك دبلوماسي في المؤسسات الدولية من أجل العمل على حماية هذا الشعب، كان آخرها يوم 17أيار/ مايو 2001، عندما صرح القائم بأعمال سفير أمريكا لدى الأمم المتحدة، جيمس كانغهام، أن بلاده ستستعمل حق النقض (الفيتو) ضد أى مشروع قرار يُقدم لمجلس الأمن والمتعلق بالصراع الدائر بين الفلسطينيين والإسرائيليين.

والباب الذي فتحه سمو ولي العهد السعودي، هو رفضه للدعوة الرسمية التي وجهها له الرئيس الأمريكي، جورج بوش، لزيارة واشنطن (نيويورك تايمز 17/5/2001م)، مؤكداً أنه لن يقوم بمثل هذه الزيارة إلا بعد أن تتحرك أمريكا بشكل مكثف لوقف العنف الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني.. وقد اعتبرت بعض الأوساط الرسمية الأمريكية، ان هذا الموقف السعودي دليل واضح على أن العرب غير راضين عن الابتعاد المتعمد للإدارة الأمريكية عن القضية الفلسطينية، والصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي.

والمملكة العربية السعودية هي الدولة المثالية لاتخاذ مثل هذه الخطوة، فهي تحمل الكثير من الأوراق التي ترى واشنطن فيها أنها ضرورية لها على جميع المستويات، منها أسعار النفط والسوق التجارية، والمكانة القيادية للمملكة العربية السعودية في دول التعاون الخليجي التي تشكل حلقة مهمة جداً في الاقتصاد والاستراتيجية الأمريكية، والدور الطليعي في التحرك العربي، واتخاذ المواقف العربية، وكذلك الموقع الاستراتيجي للسعودية ومنزلتها في العالم الإسلامي.

وقد وصلت إلى الولايات المتحدة عدة إشارات تدل على أن السعودية، وبعض الدول العربية الأخرى قد نفذ صبرها من المواقف الأمريكية المنحازة كلياً إلى جانب إسرائيل، في الصراع العربي ـ الإسرائيلي.

وكان لابد أن تبدأ الدول العربية باتخاذ مواقف من الإدارة الأمريكية، والتي فرشت البساط الأحمر لشخص مجرم مثل شارون، في حين تضع شروطاً لدعوة رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات إلى واشنطن، أهمها وقف ما تسميه بالعنف.. بمعنى أنها تحمل الجانب الفلسطيني مسؤولية العنف الدائر في الضفة الغربية وقطاع غزة، مع العلم أن شارون هو الذي فجّر هذا العنف عند زيارته للمسجد الأقصى.. وفي مثل هذا الموقف والتصرف، فإن واشنطن تضع نفسها في مكان الشريك لهذا المجرم، وبالتالي فإنها تتحمل مسؤولية المذابح التي تقوم بها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني.. وتفخر أمريكا أنها لا تسمح لمجرمي الحرب الدخول إلى أراضيها، وأنها لهذا السبب رفضت السماح للسكرتير العام السابق للأمم المتحدة كورت ÷الدهايم، من الوصول إلى نيويورك لحضور احتفالات المؤسسة الدولية بيوبيلها الذهبي، أي مرور خمسين عاماً على تأسيسها، بحجة انه كان يتعامل مع النازيين، وبالتالي فإنه مجرم حرب.

إن الأعمال التي تقوم بها إسرائيل ليست موجهة ضد الشعب الفلسطيني فقط، ولكنها موجهة ضد كل دول المنطقة وشعوبها، فهي تريد أن تفرض بالقوة سيطرتها على المنطقة، وتشير إلى أنها قادرة على تدمير كل من يقف في وجه تحقيق أطماعها. إلا أن تعامل واشنطن مع هذه الفلسفة، والتي تعارضها من ناحية المبدأ ولكن في أماكن أخرى، يختلف عن تعاملها مع قضايا مثل: كوسوفا والبوسنة ورواندا، حيث وقفت هناك إلى جانب الشعوب، وعملت على ارجاع اللاجئين إلى ديارهم.

والواقع ان العالم كله بدأ ينظر بريب حذر إلى تحركات الولايات المتحدة وتصرفاتها، ومحاولاتها المستمرة للسيطرة عليه وفرض هيمنتها على تحركاته، واجباره على التمشي مع سياساتها التي تخدم مصالحها هي، ولا تخدم مصالح الدول الأخرى. وقد عبرت دول العالم، والتي نفذ صبرها، عن موقفها هذا عندما أخرجت الولايات المتحدة من لجنتين مهمتين في الأمم المتحدة وهما "لجنة حقوق الإنسان" و"اللجنة الدولية لمكافحة المخدرات."

لقد وضع معظم العرب، ولفترة طويلة، معظم أوراقهم في السلة الأمريكية على أمل أن تصحو واشنطن في يوم من الأيام، لترى الحقيقة بالنسبة للحق العربي في فلسطين، وتتعامل مع شعوب المنطقة على أساس متساو.. ولكن الذي حصلوا عليه طيلة

نصف القرن الماضي كان بمثابة سراب لا يمس الحقيقة والواقع بشيء.، وعرفت واشنطن كيف تستغل صراعها مع الاتحاد السوفياتي، ودول المعسكر الاشتراكي، لتجلب معظم الدول العربية تحت كنفها، ملوحة بامكانية اختراق الشيوعية، والشعوبية حدود هذه الدول، ومشيرة إلى الأطماع السوفياتية في المنطقة. ولكن الآن، وبعد أن انهار الاتحاد السوفياتي، وتمزق المعسكر الاشتراكي وجد العرب أن معاملة أمريكا لهم لا تختلف كثيراً، بل بالعكس.. زاد الصلف الأمريكي، لدرجة أن بعض الرؤساء الأمريكيين قاموا بالاتصال مع بعض قادة الدول العربية مطالبين أن تعقد هذه الدول صفقات اقتصادية مع الشركات الأمريكية، وأصبحت تتبجح في تصرفاتها، خصوصاً بعد حرب الخليج الثانية.

إن الموقف العربي من إسرائيل يجب أن يتطور ليشمل بعض الدول التي تساند العدوان الإسرائيلي والفكر الصهيوني التوسعي. وقد فتح الأمير عبدالله باباً مهماً جداً يجب على القادة العرب عدم اقفاله. ففي مقدرة العرب أن يضعوا ضغطاً على هذه الدولة، لأنهم لا يُعادون أمريكا بسبب أمريكيتها ولا أية دولة بسبب جنسيتها أو دينها أو لون بشرة شعبها، بالعكس انهم يرون في أمريكا مثالاً للتقدم والحضارة، ويفضلون التعامل معها أكثر من أية دولة أخرى، ولكن الموقف الأمريكي المتذبذب، والذي يعمل على اقتناص الأموال العربية، ولكنه يقف إلى جانب عدوة العرب الأولى، مسانداً ومؤيداً وداعماً لها، جعل الشعب العربي يتحرك في الاتجاه المعاكس لأمريكا.